فن العمارة في التراث العربي الإسلامي

أ.م.د. باقر محمد جعفر الكرباسي/ كلية التربية الاساسية/ جامعة الكوفة
م.د. هيام مرزة نور/ معهد الفنون الجميلة/ بغداد/ الكرخ

المدخل :

التراث هوية أمتنا، وهويتها استمرار لديمومتها في سفر الخلود، واننا بانكفائنا على تراثنا نستقرئه بفكر التحديث وعين التمحيص إنما نرنو إلى ماضٍ ينبعث، ومجد يستيقظ، وإرادة أمة عزمت على أن تستأنف عزتها وتستبقي لنفسها مكانتها في صدر الوجود، والعمارة هي من أقدم وأهم النشاطات التي ولع بها البشر، فضلاً عن أنّها تمس مساساً مباشراً الأساليب وطرق وحياة الناس الشخصية والعامة ، فهي تنظم سكناهم وأماكن عملهم وإنتاجهم وتخطط مدنهم وقراهم، فقد كان للفنون بصورة عامة وللفن المعماري بصورة خاصة مكانة كبيرة عند حكام المسلمين وأمرائهم وملوكهم، وكان الفنانون على اختلاف جنسياتهم يظفرون بالتقدير والمكافأة من الحكام الذين يحلو لهم استغلال مواهب هؤلاء الفنانين في تشييد المباني وتزيينها وزخرفتها وتأثيثها، منفقين عليها المال بكل سخاء وكرم ، فالمساجد والقصور والمدارس ودور الشفاء والقلاع الحصينة وغيرها كانت كلها تشّيد بأمر هؤلاء الحكام وتحت إشرافهم فيعنى بزخرفتها وجمالها لتحمل اسمهم في الحياة وتضم رفاتهم في الممات احياناً ، هكذا كان فن البناء دوماً في خدمة الأمراء والسلاطين وحاشيتهم المقربين ، وحين بدأ العرب حياتهم الحافلة بعظائم الأمور وجلائل الأحداث كان فن البناء عندهم لما يزل وليداً، فلم يكن أي فن بناء ظاهر الاّ في البقاع الخصبة التي كان يسكنها شعب يعيش في رخاء واستقرار كاليمن .

وبعد أن تمَّ للعرب الاستقرار في البلاد التي رفعوا فوقها رايتهم توجهوا بكل همة ونشاط إلى الناحية العمرانية، فاستعانوا برجال الفن والصنعة من أهل البلاد التي خضعت لحكمهم وبرجال فنيين من البلاد التي بقيت خارج هذا الحكم، وبدأت عماراتهم تظهر للعيان هنا وهناك ، وأصبح لهذه العمارات شخصية معروفة ظاهرة تختلف كل الاختلاف من حيث الأسلوب والطراز عن تلك التي وجدوها قائمة في البلاد التي تمَّ لهم فتحها.

المبحث الأول- تطور فن العمارة العربية الإسلامية

نشأ فن العمارة العربية الإسلامية في المساجد أولاً وفيها ولد وفي رحابها نما وترعرع، فكانت المساجد والجوامع الأولى أبنية عادية أقيمت للصلاة والوعظ والاجتماعات العامة ، وليس فيها نزوع إلى إتقان في العمارة ، فأول مسجد بني في الإسلام مسجد المدينة المنورة ، بناه الرسول الأعظم (ص) ووضع أساسه بيده الكريمة سنة ٦٢٢م، ويعد النموذج الأول لسائر المساجد الأخرى، وكان هذا المسجد مساحة من الأرض مربعة الشكل ، تحيط بها جدران من الآجر والحجر، وكان هناك سقف على جزء من أجزاء هذا المربع سقيفة صنعت من جريد النخل.(١). وفي مثل هذا البناء البدائي لم تكن ثمة ضرورة إلى استعادة أساليب معمارية من مكان ما ، إذ لم تكن هناك حاجة لمثل هذه الأساليب ، وقد ظلت المساجد بالرغم من التغييرات التي طرأت على بنائها بيتاً للعبادة ورمزاً للوحدة الدينية والدنيوية.(٢)

انتقل العرب بعد ذلك من القناعة بالضروري اللازم إلى الأبنية الضخمة الفاخرة انتقالاً سريعاً، فلم يمضِ على وفاة النبي (ص) عشرون سنة حتى أعيد بناء مسجده بالمدينة ، وأقيمت له جدران ودعائم من الحجر ، وبعد سنين قليلة أدخلت المقصورة في عمارة المسجد ، وظهرت المآذن ودخلت زيادات ثانوية كالايوانات والأروقة التي تحيط بصحن المسجد ، رفعت فوقها أقواس وعقود متنوعة الأشكال من مدببة الأطراف إلى مسطحة إلى مفصصة وغيرها من الأشكال، وقد رفعت السقوف على أعمدة أو دعائم من الرخام والحجر أو الآجر ، واستخدام المحراب في تحديد اتجاه

القبلة ، ففي هذا الزمن القصير تطورت عمارة المساجد حتى أصبحت تشمل جميع المظاهر الرئيسة الهامة في بناء المساجد .(٣)

اتخذ المسلمون القبة عنصراً مميزاً لأبنية المساجد ، وهذا ما قال عنه بعض الباحثين في فن العمارة ووصفوه بالرأي الصائب ،يقول الباحث شريف يوسف :(لقد اظهر المسلمون رأياً صائباً في اتخاذ القبة عنصراً مميزاً لأبنية المساجد ،وان كان بناء القبة معروفاً عند اليونان والرومان من قبل ،ففي سنة ٦٩١م شيد عبد الملك بن مروان قبة الصخرة في بيت المقدس وجعلها من أروع الأبنية الإسلامية وأضخمها، ويأتي بعدها من حيث الأهمية والترتيب التاريخي المسجد الجامع الأموي في دمشق، ومما يمتاز به هذا المسجد من حيث الفن المعماري الأقواس التي تشبه حدوة الفرس والذي قدر له أن يكون مميزاً لفن العمارة العربية في سوريا والمغرب،ثم بنيت المآذن وكان أول مثال لاستعمالها في الإسلام في دمشق ، والغرض من بنائها غير غامض، إذ أنها بنيت لتكون مكاناً مشرفاً يدعو منه المؤذن المؤمنين إلى الصلاة ، ولعل المسلمين عمدوا إلى استحداث هذا ليكون مقابلاً لعادة المسيحيين في الدعوة إلى العبادة بدق المقرعة وذلك قبل استخدام النواقيس)(٤)

ويضيف الباحث شريف يوسف قائلاً :(وهناك فوق الظواهر المعمارية التي ذكرناها عناصر أخرى مميزة للفن المعماري الإسلامي يمكن اعتبارها كزخرفة أو زينة في البناء ، منها الكتابات بمختلف أنواع الخط العربي وحفرها في الخشب أو الحجر أو الآجر ،ففي هذه الكتابات يتجلى الذوق والمهارة والجمال في استخدام الحروف لأغراض الزينة، ومن العناصر الجديدة ايضاً الزخارف الملونة والبارزة ، كما ذاعت طريقة الزخرفة بالقاشاني المزجج البراق المختلف الألوان والنقوش، ومن عناصر البناء الإسلامي ايضاً المقرنصات تلك الظاهرة المعمارية العربية الفريدة التي تبعت المسلمين أنّى ذهبوا، وأصبحت طابعاً يميز عماراتهم من الهند إلى اسبانيا ، وقد فاق العراقيون غيرهم في هذا النوع من الزخرفة حتى أن العلماء يعتقدون ان أصلها عراقي محض ، وكذلك الشرفات المسننة أو المضرسة التي يرجع أصلها إلى طراز البناء العراقي الآشوري والبابلي)(٥)

ولو رجعنا إلى العرب وتأثرهم بالحضارات والمدنيات لو جدنا أنهم تأثروا بحضارات ومدنيات البلاد التي اكتسحتها جيوشهم الظافرة ، وكان تأثرهم بالأساليب الفنية التي كانت زاهرة في كل من سوريا ومصر والعراق وايران والهند وغيرها من البلاد شيئاً واضحاً وجليّاً ، ولكنهم ما لبثوا أن افرغوا تلك الفنون القديمة في قوالب متجانسة ومتناسبة لها طابع خاص وميزة بارزة ، فاظهروا للعالم فنوناً أثرت بدورها في فنون الغرب بعد ذلك تأثيراً ظاهراً حتى اليوم ، فإذا قارنا الفنون العربية بالفنون التي سبقتها لو جدنا أنّ هذه يعوزها التنوع والابتكار ، وان العالم كان قد سئمها فتطلع إلى تقاليد وأساليب فنية أعظم أبهة وأكثر حرية في الزخارف والموضوعات لا يعدل ما فيها من خيال وجاذبية الا ما تمتاز به من أسرار في مزج الألوان وجعلها تملأ البصر وتبهج النفس ، تلك الأساليب الفنية المنشورة التي وجدها العالم في الفنون الإسلامية بعد ان امتدت إمبراطوريتهم واتسعت وشملت جميع البلاد المعمورة في العالم آنذاك. (٦) ومن الأمانة عدم نكران مقدار استعانة العرب في أوائل نهضتهم برجال الفن والصناعة من أهل البلاد التي كانت ذات حظ وافر من الحضارة في ذلك العهد، فالعمارات الإسلامية القائمة في العالم الإسلامي الممتد من الصين شرقاً إلى الأندلس غرباً اشترك في إظهار دقائقها وتفصيلاتها المبتكرة صنّاع ومهندسون من مختلف الجنسيات والأمم التي اتخذت الإسلام ديناً وحتى الذين بقوا على دينهم من فرس وبيزنطيين وهنود وأتراك ونصارى ومغول وبربر .(٧)

إن كل منصف لا يستطيع ان ينكر فضل علماء الغرب في دراسة الفن العربي الإسلامي ، فقد عني الغربيون عناية كبيرة في دراسة آثار هذا الفن في مختلف الأدوار التاريخية وفي مختلف الأقطار الإسلامية ولم يتركوا زاوية من الزوايا الأثرية الاّ وتناولوها بحثاً وتنقيباً ودونوا نتائج دراساتهم هذه في كتب وأسفار عدة ، ونحن أصحاب التراث مدينون لهؤلاء العلماء بما أخرجوه لنا من أبحاث ودراسات وما جمعوه من وثائق وما نشروه من صور ومخططات ورسومات ، فمن الواجب الاعتراف بفضلهم وتقدير مجهودهم الكبير وتضحيتهم من مال ووقت في التأليف والتنقيح والإخراج والطبع .

دراسة فن العمارة الإسلامية :-

حاول العرب من خلال تخطيطهم لمدنهم وتصميم أبنيتهم وفضاءاتهم ان يخلقوا بيئة صالحة لعيش الإنسان ولعمله ولقضاء أوقات فراغه ، اذ استخدموا معالجات تصميمية للتغلب على المناخ القاسي من خلال توفير الفضاءات الحضرية المفتوحة سواء كانت داخلية أي داخل الأبنية أو خارجية داخل المدينة .وكان الخلفاء والأمراء والقادة يهتمون بفضاءات قصورهم وتشجيرها وجلب النباتات لها واستخدام النافورات وكانوا يقضون أوقات فراغهم فيها ، كما كانت للجوامع والمستشفيات والمدارس والجامعات والأبنية التجارية أفنية وسطية مشجرة في بعض الأحيان، حدث كل هذا عندما بدأ الطراز الإسلامي يظهر للعيان وأخذ المسلمون يجمعون شتى الطرز المعمارية القديمة ويطبعونها بطابع دينهم الجديد ويظهرونها للعالم فناً معمارياً جديداً متميزاً عن غيره من الفنون المعمارية المعروفة في العالم ومن خلال بحثنا عن الفن المعماري الإسلامي وجدنا ان هذا الفن تأثر بتغييرات محلية مرتبطة بتقاليد الشعوب التي دخلت الإسلام وتنوع بتنوع المواد الإنشائية الموجودة في كل بلد من البلدان الإسلامية ،كما تأثر بعدوى الجوار للأمم التي لم يستطع الإسلام السيطرة عليهم ، ووجدنا ايضاً انّ هناك بعض الاختلاف في المظاهر العامة للمنشآت الإسلامية بين بلد وآخر مما حدا بالعلماء إلى تقسيم الفن المعماري الإسلامي إلى مدارس عدة ، وقد حددّ العالم (هـ. سلادان)هذه المدارس بما يأتي :

أ- المدرسة السورية – المصرية

ب- المدرسة المغربية وتشمل تونس والجزائر والمغرب واسبانيا وصقلية.

ح- المدرسة الفارسية وتضم بلاد الرافدين وايران

د- المدرسة العثمانية .

هـ- المدرسة الهندية (٨)

ان هذا التقسيم حسبما يقول الباحث شريف يوسف: (لا يعني وجود حدود حقيقية بين مدرسة وأخرى ، وعلينا ان لا نخدع بالإطار الظاهري لكل مدرسة من هذه المدارس ، بل الأفضل ان نجعل هذا التصنيف أكثر مرونة وان نزيح كثيراً من الفروق الظاهرية الموجودة بينها ،فالبلاد الإسلامية التي تربطها علاقات روحية ثابتة لم تقف المسافات الشاسعة التي تبعد بعضها عن بعض حائلاً دون تبادل الأفكار وسريان الازدهار الفني الذي قد يظهر في أحداها إلى الأطراف الأخرى من البعثات الإسلامية ، وطالما ظهرت ضرورات سياسية كثيرة أوجبت التضامن بين الحكام المسلمين المتباعدين ، فقد تبادل هؤلاء البعثات الثقافية وسعوا لتوثيق عرى الروابط بالمصاهرة والتعامل ، كل ذلك ساعد رجال الفن على الانتقال من بلد إلى آخر لتبادل الصيغ الفنية والتباهي في التفوق الفني عند كل منها . (٩)

إنَّ مبدأ التواصل بين الأمم في مجال العطاء الفني وجد تطبقيه في حضارة الإسلام بعامة ، وحضارة العصر العباسي بخاصة ، فقد كانت البلاد التي توسع فيها الإسلام ، والأمم التي انتشر بينها كالروم والفرس والهنود والصقالبة ،

ذات تراث فني سابق ، فأخذ عنها المجتمع الجديد في حدود حاجاته واستعداداته وقيمهِ لِينشأ عن هذا التلاقي وعن طبيعة التواصل خصوصيات فنية إسلامية برزت في مجالات العمارة والزخرفة والخط والموسيقى والغناء والرسم .

فالعمارة الإسلامية قامت في عالم قديم له تراثه المعماري الهائل على صعيد الأشكال والأساليب الفنية ، وتطورت هذه العمارة في ظل الإسلام ، في عالم جديد له القدرة على التصرف بمرونة في المعاني التي تعطي للأشكال والأساليب، وقد نفذت أصول هذه العمارة في مجال المنشآت الدينية والمنشآت الدنيوية ، فعلى صعيد المنشآت الدينية لم يصنع الإسلام شكلاً خاصاً ، وهندسة معينة لهذه المؤسسات، ولم تكن كلمة مصلّى تعني سوى المساحة المخصصة خارج المدينة للصلاة في مناسبات معينة كالأعياد ،غير أنّ المسلمين توصلوا إلى اعتماد طراز معماري يتوافق مع حاجات مجتمعهم وعقيدتهم، وبدأ ظهور هذه الطرز في العقدين الأخيرين من القرن الأول الهجري ، فكان المسجد الأموي الذي ساد طرازه خلال أربعة قرون على الأقل ،من الأندلس حيث جامع قرطبة إلى مصر حيث جامع ابن طولون إلى جامعي الأزهر والحاكم بأمر الله ،إلى جوامع سامراء في العراق، ومنها المسجد الكبير والمئذنة الجديدة اللذان بناهما المتوكل، وهذا الطراز هو طراز البناء القائم على الأعمدة ، مع تعديلات من مكان لآخر تؤكد مرونة هذا الطراز، كإضافة الصحون للمساجد ، سواءٌ أكانت ذات أشجار أم من دونها،والمآذن والمحاريب، والقباب والمقاصير المخصصة لصلاة الأمراء تقام في العادة إلى جانب المحراب، ونافورات الماء والبرك والبوابات ثم الميضأة خارج المسجد، ومهما اختلفت هذه التعديلات من مسجد لآخر فإنّ المحراب كان الشكل المطلوب لأسباب رمزية أو شعائرية(١٠)

إما في مجال العمارة الدنيوية ، فهي لم تتأثر بالإسلام كعقيدة بل بالمطالب الدنيوية للناس وخاصة للحكام ، فكانت القصور تختلف نهجاً وأسلوبا عن مساكن العامة وهي فعلاً شيّدت في مواقع بعيدة عن الناس ، وكانت ذات أسوار مزينة بالبروج ولها بوابات مهيبة ، ولم تكن هذه القصور منظمة تنظيماً دقيقاً وبالتالي لم تكن مخططة ، بل كانت مجموعة من الوحدات المكتفية بذاتها، وكان الأمويون والعباسيون مولعين بالقصور الفخمة المحلاة بالرسوم والزخارف من الخارج والداخل (١١)

فقد بنى الأمويون قصر المشتى وقصر الحير وقصر عمره وقصر المفجر في الشام والأردن ، التي ضمت قاعات وفسحات وحمامات مزينة الجدران بالرسوم التي تحمل صوراً لصيادين وإشكالا لأشخاص يستحمون ، كما شيّد العباسيون قصر الصيد الرائع (الأخيضر) قرب كربلاء في العراق ، وقد بنى معز الدولة البويهي في العصر العباسي قصراً في بغداد سنة ٣٥٠ هـ ، وأقام جسر بغداد وحصّنه بالدرابزينات ووكل الحفظة والحراس ، وأكمل البويهيون اهتمامهم بالعمارة عندما اعتنوا ببناء الأسوار حول المدن ، واحتوت قصور قرطبة على التماثيل من الذهب والفضة والنحاس ، وضمت صحُونها البحيرات والبرك والصهاريج وأحواض الرخام الرومية المنقوشة .(١٢)

كما برزت مظاهر الأبهة والفخامة على سائر المنشآت المدنية في العصر العباسي ، كالمدارس والدكاكين والفنادق والمارستانات والاستراحات والحمامات واسبلة المياه وكان من الصعب تمييز فندق أو مدرسة من المسجد لجهة طراز العمارة وواجهاته .(١٣)

وهكذا تميزت العمارة الإسلامية بقدرتها على إعطاء معنى إسلامي لعدد كبير من الطرز الفنية التي دخلتها ، كما بدت العمارة الإسلامية ذات صيغة دنيوية في إطار العصور الوسطى الذي كان يظهر انه يدور حول محور الدين .

المبحث الثاني- الأدوار التاريخية التي مَرَّ بها فن العمارة الإسلامية

قسم العلماء الأدوار التي مَرَّ بها الفن المعماري الإسلامي إلى أربع فترات أساسية كبرى هي :

الفترة الأولى :تبدأ من انتشار الإسلام وتأسيس الإمبراطورية العربية إلى زمن ضعف الدولة العباسية .

الفترة الثانية : استمرت زهاء مئتين وخمسين سنة وفيها كانت الخلافة الأموية في الأندلس والخلافة الفاطمية في مصر في أوج عظمتها .

الفترة الثالثة: امتدت من القرن الثالث عشر الميلادي إلى القرن الخامس عشر وفيها انحلت سلطة الخلفاء في بغداد.

الفترة الرابعة : التي دامت نحو أربعة قرون توحدت فيها البلاد الإسلامية تحت الحكم العثماني .(١٤)

ففي الفترة الأولى كان مسجد الرسول محمد (ص) في المدينة المنورة النموذج الأول لبناء المساجد في المدن الإسلامية الجديدة ، وهو عبارة عن مساحة من الأرض مربعة الشكل تقريباً مسورة بسور من الطين والحجارة ،أقيمت مظلة للمصلين في الضلع المتجه إلى القبلة وخلفها صحن مكشوف واسع ، اما الكعبة الشريفة في مكة المكرمة فبعد ان نزع منها المسلمون ما يحيط بها من الأصنام وطعموها بقيت قائمة في وسط مساحة تسمى (براحا) خالٍ من كل بناء ، وكانت دور قريش متواضعة البناء شيدت من حجارة مكة (الدبش) ذات دور واحد ، وأبوابها شارعة إلى الكعبة ، وعندما انتقلت الخلافة إلى الأمويين سنة ٤١ هـ وأصبحت دمشق عاصمة الإمبراطورية العربية الكبرى ،و أخذت الدولة بحظها الوافر من الترف والرفاء نرى المسلمين قد انتقلوا من القناعة بالضروري اللازم للحياة البسيطة التي كانوا يحيونها إلى الترف والبذخ في سبيل إقامة أجمل المباني الفخمة التي تتفق ومركز إمبراطوريتهم العظيمة ، وبدأوا ببناء المساجد والجوامع ، فبنوا جامعاً كان آية في الفن وروعة في الزخرفة والجمال ، ففي هذا المسجد الجامع تتمثل ظواهر معمارية إسلامية عديدة منها ترتيب الأروقة والبلاطات في الحرم وإدخال المحراب في جدار القبلة وبناء المئذنة واستعمال العقود والأقواس الشبيهة بحدوة الفرس ، وكذلك الزخارف والفسيفساء التي تزين الجدران والعقود التي لا يضاهيها أي عمل مماثل عند الرومان.(١٥)

ولم يقتصر اهتمام الخلفاء الأمويين على بناء المساجد والجوامع في مختلف المدن الإسلامية بل أراد بعضهم ان ينعم بحياة البادية الملائمة لطبيعة نشأتهم العربية الأصيلة ، فانشأوا عدداً من القصور التي هي أشبه بالقلاع في بادية الشام ، وعلى بعد ستين ميلاً جنوب شرقي عمّان بناء آخر أشبه بقلعة ذات أبراج عالية وسط الصحراء .(١٦) وبقي الأمويون مهتمين بتشييد وبناء القصور والمساجد والقلاع والحصون مما دَلَّ على وجود عمارة إسلامية تطورت أكثر من السابق .

وفي عصر بني العباس والذي بدأ بسقوط الدولة الأموية سنة ١٣٢ هـ ، يذكر فيه المؤرخون والباحثون ما أقدم عليه أبو جعفر المنصور سنة (١٤٥هـ) في بناء المدينة المدورة، إذ قسم المنصور المدينة المدورة (دار السلام) على شوارع محدودة سماها السكك واسكنها الموظفين والموالين له ، وجعل قصره ذي القبة الخضراء والمسجد الجامع في الرحبة الوسطى من المدينة، وأحاط المدينة بسورين عظيمين فيه أربعة أبواب أو مداخل رئيسة محورية ، وجعل بين كل بابين ٢٨ برجاً ماعدا جهة واحدة فيها ٢٩ برجاً ، ويقدر طول المدينة المدورة بـ ٥٠٩٣ ذراعاً أي ٢٥١٢ متراً(١٧)

اما في مدينة سامراء أيام ازدهارها كانت سيدة مدن العالم ، تقع سامراء على بعد ١٣٠ كم شمال بغداد ، بناها المعتصم سنة ٢٣١هـ بعد ان أقلقته الإقامة في بغداد لأسباب سياسية واجتماعية، ويدل تخطيط هذه المدينة على براعة

فائقة في هندسة المدن وتخطيطها ففيه كثير من الابتكارات في تنظيم الشوارع وتوزيع المساكن وتنسيق الأبنية العامة والأسواق والمتاجر والحدائق وغيرها ، ويعد المسجد الجامع في سامراء من اكبر المساجد في العالم ، شيده المعتصم وهدمه المتوكل لضيقه وشيد محله المسجد الجامع الكبير سنة ٢٤٤هـ، ولهذا الجامع مئذنة ضخمة تعرف بـ(الملوية).(١٨)

وكان من نتائج اتساع الدولة العباسية وامتداد نفوذها إلى أغلب بقاع المعمورة ان تدفقت الخيرات على بغداد مقر الخلافة من هذه الأمصار ، وقد عمّ اليسر فيها وساد الرخاء ، وتضاعفت الثروات ، وامتلأت الخزائن بالمال الوافر فانصرف الخلفاء والأمراء إلى تشييد الدور الجميلة والقصور المنمقة وبالغوا في تجميلها وتزيينها بكل ما وهبوا من ذوق وما أوتي الصناع من حذق ومهارة وذكاء ، وكان الخلفاء ومن دونهم الأمراء والوزراء وغيرهم يتنافسون في جعل قصورهم ودورهم آية في الفن ومثلاً في روعة البناء وجمال المنظر ، والقصور متعددة في بغداد تعاقب على بنائها الخلفاء والأمراء والوزراء من بني العباس .(١٩)

لقد بنيت الحضارة الإسلامية على مبدأ (الوسطية) ، واذا كانت الوسطية هي المبدأ الذي ينظم حياة الإنسان فلا أقل من أن تكون هي المبدأ الذي ينظم العمران على مر الزمان ، والوسطية في العمارة يمكن وصفها مقياساً للكم والكيف في العمل المعماري تطبق على المعايير التصميمية التي تتناسب مع متطلبات المجتمع الإسلامي ، كما تطبق على قدرة الإنفاق من خلال الجدوى الاقتصادية للمنشأ كما تطبق الوسطية ايضاً في استعمال الزخرف اذا تطلب المقام على الإنتاج والبناء ، وهكذا تصبح الوسطية هي الموجهة لحركة التعمير والعمران في المجتمعات الإسلامية .(٢٠)

إنّ بناء الفكر المعماري الإسلامي هو في واقع الأمر حركة ثقافية لابد وأن تؤثر على العامة من المجتمع كما تؤثر على الخاصة من الدارسين والباحثين والممارسين لعمارة المسلمين ، فالعمل المعماري في النهاية هو تحقيق الخاصة من المعماريين لرغبات العامة من أفراد المجتمع ، فعمارة المسلمين هي عمارة المجتمع الإسلامي التي تعكس قيمه الحضارية ومتطلباته المعيشية في أي مكان وزمان ، لذلك فإنّ المنظور الإسلامي في النظرية المعمارية هو منظور اجتماعي كما هو منظور علمي وفني ، فالإنسان له حواسه وعواطفه كما له متطلباته وتطلعاته وهو في النهاية المستفيد الأول من البناء المعماري في المدينة الإسلامية.(٢١)

لقد كان لاستمرار المد الحضاري الغربي في العالم الإسلامي أثره في قلب الموازين الحضارية للمجتمعات الإسلامي اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً وسياسياً الأمر الذي ظهرت آثاره في ثقافات العديد من الشعوب الإسلامية وبالأخص في عاداتها وتقاليدها كما في آرائها وفنونها وبالتالي في عمارتها ، لقد فرضت الحضارة الواردة أنماطها المعمارية على القطاعات العمرانية للمدن الإسلامية والعربية منها بصفة خاصة ، وقد انتقل الفكر المعماري الغربي إلى المدينة العربية بطرق مباشرة وذلك من خلال أعمال المعماريين العرب الذين تأثروا بالحضارة الغربية ومن خلال سيل الإصدارات المعمارية من الكتب والمجلات الوافدة والتي غزت الساحة المعمارية الإسلامية والعربية منها.

خاتمة البحث:-

إنّ العمارة التي أفرزتها العصور الإسلامية هي الوحيدة التي استقرت في وجدان الإنسان العربي المسلم وأصبحت العقيدة هي الموجه الأساس لمكوناتها الداخلية التي انعكست على تشكيلاتها الخارجية ، فكانت انعكاساً واضحاً للمقومات العقائدية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية للمجتمع تختلف تفاصيلها من مكان لآخر ومن زمن لآخر ظهرت فيها التقنية المتوافقة لعلم البناء وواجهت بعناصرها الظروف المناخية والبيئية التي تختلف باختلاف المكان والزمان حتى

أصبحت عمارة العصور الإسلامية مرجعاً للابتكار والاقتباس ، فهي من الداخل تتفق مع القيم والرغبات الفردية للمستعمل اما من الخارج فهي تتفق مع القيم والرغبات العامة للمجتمع الذي يتحرك خارجها ويتعايش معها ، لقد ظهرت العمارة الإسلامية غنية بمكملاتها التشكيلية والجمالية التي تعتمد على الوحدة الزخرفية والعلاقات الهندسية التابعة من الأسس البنائية والتقنية الحرفية والمواد الإنشائية .

هوامش البحث :

١- العلوم عند العرب : محمد ابراهيم الصيحي ،ص١٧

٢- نفسهُ:ص١٨

٣- المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ،ج٢،ص٤٧

٤- مجلة المورد : مج٤،ع٢،١٩٧٥ ،ص٢٨

٥- نفسهُ:ص٢٩

٦- المنظور الإسلامي للنظرية المعمارية :د. عبد الباقي ابراهيم ، القاهرة، ١٩٩٤،ص٥١

٧- العمارة الإسلامية من الصين إلى الأندلس :خالد عزب ،٢٠١٠،ص٧٣

٨- الأصالة والمعاصرة في العمارة الإسلامية : عبد الباقي ابراهيم ، القاهرة، ١٩٨٧،ص٧٦

٩- مجلة المورد: المرجع السابق ص٣١

١٠- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري :آدم متز ،بيروت، ١٩٦٧، ص٣١٠

١١- الزخارف الجدارية في آثار بغداد : خالد خليل حمودي الاعظمي ،بيروت ، ١٩٨٠، ص٨٨

١٢- قصور العراق العربية الإسلامية حتى نهاية العصر العباسي ٦٥٦هـ: طالب علي الشرقي ،ص٢١١

١٣- المدخل إلى حضارة العصر العباسي : د.محمد كاظم مكي ،بيروت،١٩٩٩،ص١١٣

١٤- صور مشرقة من حضارة بغداد العصر العباسي : ميخائيل عواد ، بغداد، ١٩٨١،ص٥٦

١٥- الفن الإسلامي : رايس ، دمشق ، ١٩٧٧،ص٩٨

١٦- تراث الإسلام : شاخت ،القسم الثاني ،الكويت ،١٩٧٨،ص١١٢

١٧- مجلة سومر : مج٢١ ، ١٩٦٥، ص٤٣

١٨- المقدمة : ابن خلدون ، بيروت،١٩٧٧،ص٨١

١٩- بغداد تاريخها وآثارها : بشير فرنسيس ، بغداد ١٩٥٩،ص٤٣

٢٠- تاريخ العلوم عند العرب : عمر فرّوخ ، بيروت ،١٩٧٠ ، ص١١٨

٢١- بناء الفكر المعماري ،د. عبد الباقي ابراهيم ، القاهرة ،١٩٨٦،ص٩٤

مصادرُ البحث ومراجعهُ :

أ- الكتب:

١- الأعظمي ، خالد خليل حمودي:

- (الزخارف الجدارية في آثار بغداد)دار الطليعة للطباعة والنشر ،بيروت ،١٩٨٠

٢- ابراهيم ، عبد الباقي (الدكتور):

- (الأصالة والمعاصرة في العمارة الإسلامية)، مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية ، القاهرة ،١٩٨٧
- (بناء الفكر المعماري) مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية ،القاهرة ،١٩٨٦
- (المنظور الإسلامي للنظرية المعمارية)، مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية ، القاهرة ،١٩٩٤

٣- ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد)ت ٨٠٨هـ:

- المقدمة – دار إحياء التراث العربي ، بيروت / لبنان ط٤ ،١٩٧٧

٤- رايس:

- (الفن الإسلامي) ، ترجمة الأصبحي ،المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب ،دمشق،١٩٧٧

٥- شاخت:

- (تراث الإسلام) ،القسم الثاني ، سلسلة عالم المعرفة ع ١١ الكويت ، ١٩٧٨

٦- الشرقي، طالب علي:

- (قصور العراق العربية والإسلامية حتى العصر العباسي ٦٥٦هـ)دار الشؤون الثقافية ، بغداد ،٢٠٠١

٧- الصيحي ، محمد ابراهيم :

- (العلوم عند العرب)، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة سلسلة حضارة أجدادك العرب ،ع١،د.ت

٨- عزب ،خالد :

- (العمارة الإسلامية من الصين إلى الأندلس)، كتاب دبي الثقافية،ع٣٣،شباط ،٢٠١٠

٩- عواد ، ميخائيل :

- (صور مشرقة من حضارة بغداد في العصر العباسي)، منشورات وزارة الإعلام ، بغداد،١٩٨١

١٠- فرنسيس ،بشير :

- (بغداد تاريخها وآثارها) ،مطبعة الرابطة ،بغداد ،١٩٥٩

١١- فروّخ،عمر :

- (تاريخ العلوم عند العرب)،دار العلم للملايين ، بيروت ،١٩٧٠

١٢- متز ،آدم :

- (الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري)، تعريب :محمد عبد الهادي أبو ريده بيروت ،ط٤، ١٩٦٧

١٣- المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين)ت٣٤٦هـ:

- (مروج الذهب ومعادن الجوهر)تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة،مصر ،ط٤،ج٢،ج٤،ج٧، ١٩٦٥

١٤- مكي ، محمد كاظم (الدكتور):

- (المدخل إلى حضارة العصر العباسي)دار الزهراء،بيروت ،لبنان ،ط٢، ١٩٩٩

ب- الدوريات :

١- مجلة سومر :

المجلد ٢١ لسنة :١٩٦٥

المجلد ٣٩ لسنة ١٩٨٣

٢- مجلة المورد:

المجلد ٤ ، ع٢ ،لسنة ١٩٧٥